محمد بن مصطفى الغلامي الموصلي
(ت ١١٨٦ هـ / ١٧٧٢م)
وكتابه
(شمامة العنبر والزهر المعنبر)

الدكتور عبدالله محمود طه المولى
قسم العربي – كلية الآداب / جامعة الموصل

المؤلف

حياته بين الولادة والوفاة

وهي حياة نعرض منها لمحات مما وقفنا عليه من اخباره في موارد سيرته* وهو: محمد بن مصطفى بن علي أبو المكارم الغلامي النجمي الزبيدي او (التغلبي) الموصلي. والغلامي نسبة الى غلام، والد علي ابي المكارم، جد المترجم له، وهو اول من عرف من هذه الاسرة

---

* موارد السيرة:

- محمد بن مصطفى الغلامي: شمامة العنبر والزهر المعنبر، تح: سليم النعيمي، مط المجمع العلمي العراقي ١٣٩٧/١٩٧٧، ص١٦٠ ومابعدها.
- عصام الدين العمري الموصلي: الروض النضر في ترجمة ادباء العصر، ج١، تح: سليم النعيمي، مط المجمع العلمي العراقي ١٣٩٤/١٩٧٤، ص٤٣٠ وما بعدها.
- محمد امين بن خيرالله العمري: منهل الأولياء ومشرب الاصفياء من سادات الموصل الحدباء ج١، تح: سعيد الديوه جي، مط الجمهورية، الموصل ١٣٨٦/١٩٦٧، ص٢٥٤ وما بعدها.
- محمد خليل المرادي: سلك الدرر في اعيان القرن الثاني عشر، ج٤، مكتبة المثنى، بغداد د.ت.، ص١٢٤، ومابعدها.
- ياسين بن خيرالله العمري: الدّر المكنون في المآثر الماضية من القرون، مخطوط، نسخة المجمع العلمي العراقي رقم (٧٧٦/م)، حوادث سنة (١١٨٦هـ).
- اسماعيل البغدادي: هدية العارفين، اسماء المؤلفين وآثار المصنفين، ج٢، مط البهية، استانبول ١٩٥٥، ص٣٣٤.
- داود الجلبي: مخطوطات الموصل، مط الفرات، بغداد ١٣٤٦/١٩٢٧، ص١٦، ٩١، ١٣٠...
- سليمان الصائغ: تاريخ الموصل، ج٢، مط الكاثوليكية، بيروت ١٩٣٨، ص١٧٦.
- محمد رؤوف الغلامي: العلم السامي في ترجمة الشيخ محمد الغلامي، نشر: عبدالمنعم الغلامي، مط ام الربيعين الموصل ١٣٦١/١٩٤٢.
- عباس العزاوي: تاريخ الأدب العربي في العراق، ج٢، مط المجمع العلمي العراقي ١٣٨٢/١٩٦٢، ص٢١٣.
- خير الدين الزركلي: الاعلام، ج٧، ط الرابعة، بيروت ١٩٧٩/ص١٠٠.
- عمر رضا كحالة: معجم المؤلفين، ج١٢، مط الترقي، دمشق ١٣٧٩/١٩٦٠، ص٣٢.
- سليم النعيمي: مقدمة تحقيقه لكتاب: شمامة العنبر.
- عماد عبدالسلام رؤوف: التاريخ والمؤرخون العراقيون في العصر العثماني، ط الاولى، دار واسط بغداد ١٩٨٣ ص١١٨.
- بسام ادريس الجلبي: اعلام الموصل – المخطوط.
- Brokel man: Geshichte, Der, Arabtschen, Litteratur, Leiden, E.J. brill 1938, S. ill, 1310.
- Sayyár,K,AL–Jamil, Acritieal Edition of Al–Durr al–Maknun Fial–Mathir Al–madiya Min Al–Qurun of Yasin Al–Umari, B.H.D. University Scotland, 1983, Vol, 2, P.413.

الموصلية ، ففي تلك الحقبة كان الرجل ينتسب إلى أبيه أو جده ، فيقال : المحبي او المرادي... مثلاً ، بدل ان يقال : إبن محب الله ، أو ابن مراد.. ولد محمد بن مصطفى الغلامي في الموصل بعد سنة (١١٢٠ / ١٧٠٨) بقليل ، بين أسرة كان لها شأن معروف على الصعيد الاجتماعي والثقافي الادبي ، وترعرع في كنف أبيه الذي وجهه صوب العلم والأدب ، يأخذ منها لما يبني به شخصيته ، وأقبل منذ صباه على الدرس والتحصيل الثقافي في مدارس مدينته الحدباء ومجالسها ومساجدها ، وقرأ على شيوخ وأساتذة أجلاء منهم : يوسف النائب الموصلي (ت١١٥٠/١٧٣٧) وعبدالله بن احمد المدرس الربتكي الموصلي (ت١١٥٩/١٧٤٦) ومحمود بن عبدالله الكردي الخورتي الموصلي (ت١١٦١/١٧٤٨)... وغيرهم أفاضل آخرون ، فأتقن العلوم العربية والدينية والرياضية والعقلية ، وهو على إتقانه هذه العلوم كان ميالاً منذ نعومة أظفاره الى الآداب والتحلي بحليتها ، والافتخار بالشاعرية وعنوان القريحة ، حتى إذا توفي أبوه سنة (١١٤٠/١٧٢٧) وأتم تحصيله الثقافي إنصرف مع اصحابه الى اللهو البريء ، وحضور مجالس اهل الأدب من بني الاسرة الجليلية ، وغيرهم من الموصليين يشاركهم في مطارحاتهم واسمارهم ، فتوسعت حركته بين معاصريه ، وتوثقت علاقاته الانسانية بابناء بيئته ، وفي المقدمة منها العلاقات الفكرية والثقافية التي تعكس صورها الاشارات الكثيرة التي دسها في صفحات كتابه : (شمامة العنبر)[1] ، فكان من ذلك فعل مؤثر في حياته جملة وتفصيلاً ، ذلك هو الأتجاه إلى التصوف ، يدرسه على الشيخ عبدالله بن أحمد الربتكي الموصلي ، وألف كتاباً في شرح الكبريت الأحمر ، للشيخ عبدالوهاب بن احمد الشعراني (ت ٩٧٣/١٥٦٥) ، وصحب شيوخ المتصوفة المعاصرين له ، مثل الشيخ عطاءالله بن عبيد الحديثي (ت بعد ١١٤٠/١٧٢٧) والشيخ ابراهيم بن سراج ولي الموصلي (ت ١١٦٠/ ١٧٤٧) ، والشيخ عبدالوهاب بن حسين الامام (ت ١١٧٣/١٧٥٩) ، والشيخ احمد بن عبدالرحمن الملقب بالمسلم ، والشهير بأخي بابا الموصلي (ت١١٧٥/١٧٦١) ، حتى اعتراه –وهو يجيل فكره بين الادب والتصوف– ضرب من الوسواس ، وهو مرض غيّر فكره ، وأثر في حياته ، فانصرف عن معاطاة الأدب ، وانقطع عن معاشرة الناس ، ساخطاً على الدنيا واهلها ، حتى انه ألف كتاباً سماه : (لطائف المنان في اجتناب الاخوان ، والاحتراس عن الناس) وعمل على كسب رزقه بسقاية الماء ، فاستأجر سقاءاً ينقل الماء الى بيوت الموصليين.

وأخيراً عمل على توثيق علاقته بوالي الموصل حسين بن اسماعيل باشا الجليلي (ت ١١٧١/١٧٥٨) وابنه محمد امين (ت ١١٨٩/١٧٧٥) ، وفي ولاية الاخير للموصل ألف كتابه : (شمامة العنبر) واهداه اليه ، ونظم في مدحه ديواناً شعرياً ، كما كان وثيق الصلة بعبد الفتاح بن اسماعيل باشا الجليلي (ت ١١٨٥/١٧٧١) وسليمان بن محمد أمين الجليلي

(ت١٢١١/١٧٩٦) واستمرت صلته بالأسرة الجليلية الحاكمة للموصل حتى وافاه الأجل في الموصل سنة (١١٨٦/١٧٧٢).

آثاره العلمية

لقد ترك الغلامي من بعده مجموعة من المؤلفات ، طبع قسم منها ، وبقي الآخر مخطوطاً ، وهاهي منسوقة على حروف المعجم ، ومشفوعة بالمعلومات الفنية المتصلة بها :

١- تاريخ الحيدرية : وهو كتاب في تاريخ الأسرة الحيدرية ، منه نسخة محفوظة في دار صدام للمخطوطات ببغداد رقم (١٢٥٩٦)[٢].

٢- تخميس همزية البوصيري : نظمه بعد سنة (١١٧١/١٧٥٧) وأهداه إلى الوزير محمد أمين باشا بن اسماعيل باشا الجليلي ، وقد قام بنشره محمد رؤوف الغلامي سنة (١٣٥٨/١٩٤٠).

٣- خلاصة أقوال القراء والفقهاء : وهي نقول وشروح في القراءات وعلوم القرآن والفقه ، مهداة الى صديقه علي بن علي العمري (ت١١٩٢/١٧٧٨) منها نسخة محفوظة في مكتبة الأوقاف العامة في الموصل برقم (٢٤/٨٠ مجموع)[٣].

٤- خلاصة المعارف وإشارة العارف : يقع في خمسة فنون : علم أصول الدين ، وأصول التفسير ، وأصول الحديث ، والنحو ، والتصوف ، منه نسخة بخط المؤلف محفوظة في مكتبة التربية الاسلامية ببغداد رقم (١٤٢.آ.)[٤]

٥- رسالة في الفرائض : مستخرجة من كتب الفرائض وقواعدها ، منها نسخة محفوظة في مكتبة الأوقاف العامة في الموصل برقم (٢٤/٨٠ مجموع)[٥].

٦- روضة الموصلي : وهو ديوان شعر يحتوي على تسع وعشرين قصيدة مجوكة الطرفين ، كل قصيدة تحتوي على تسعة وعشرين بيتاً ، على ترتيب حروف الهجاء ، نظمه سنة (١١٨٣/١٧٦٩) في مدح عبدالفتاح باشا بن اسماعيل باشا الجليلي ، منه نسخة محفوظة في دار صدام للمخطوطات ببغداد رقم (٢/٧٨٠)[٦] ، واخرى محفوظة في مكتبة داود الجلبي في الموصل برقم (٩/٢٣ مجموع)[٧] ، وقد قام بنشره محمد رؤوف الغلامي في خاتمة كتابه : العلم السامي ، بعنوان : ضوء الصباح في مدح الوزير عبدالفتاح. وقيل : ان ديوان روضة الموصلي هو غير ضوء الصباح ، وأن مؤلفه قد نظمه في مدح الشيخ حمد الحمود الخزاعي[٨].

٧- شمامة العنبر والزهر المعنبر : موضوع بحثنا.

٨- العقد الثمين في مدائح الأمين : وهو ديوان شعر يحتوي على تسع وعشرين قصيدة محبوكة الطرفين كل قصيدة تحتوي على تسعة وعشرين بيتاً ، نظمه سنة (١١٦٨/١٧٥٤) في مدح محمد أمين بن حسين باشا الجليلي[٩] ، ولم نقع على ذكره.

٩- فصل في قواعد المناسخة ، ومسائل فيها : نسخة منه في مكتبة الأوقاف العامة في الموصل برقم (٢٤/٨٠ مجموع)[١٠].

١٠- لطائف المنان في اجتناب الاخوان ، والاحتراس عن الناس : أتمه سنة (١١٦٥/ ١٧٥١) منه نسخة بخط المؤلف محفوظة في مكتبة محمد رؤوف الغلامي[١١].

١١- نثر الجوهر في شرح الكبريت الأحمر في بيان علوم الشيخ الأكبر: وهو شرح لكتاب : الكبريت الأحمر للشيخ عبدالوهاب بن احمد الشعراني (ت٩٧٣/١٥٦٥)[١٢] ، ولم نقع على ذكره.

١٢- نحور الحسان : وهو نظم شرح مختصر تلخيص المفتاح لجلال الدين السيوطي (ت٩١١/١٥٠٥) الذي نظم : (تلخيص المفتاح) في علم البلاغة للخطيب القزويني (ت٧٣٩/١٣٣٨) بأرجوزة سماها : عقود الجمان في علم المعاني والبيان ، ثم شرحها شرحاً وافياً ، فجاء الغلامي فنظم شرح الامام السيوطي هذا بأرجوزة بلغ عدد أبياتها ثمانية آلاف وثمانيمائة وعشرين بيتاً ، فرغ منها سنة (١١٨١/١٣٦٧) وأهداها الى صديقه علي بن علي العمري ، منها نسخة بخط المؤلف في مكتبة محمد رؤوف الغلامي.[١٣]

١٣- نظم في مدح علي بن علي العمري : منه نسخة محفوظة في مكتبة الأوقاف العامة في الموصل برقم (٢٤/٨٠ مجموع)[١٤].

الكتاب

تقديم

لقد إعتمدنا في دراستنا هذه على نشرة الكتاب التي اصدرها المجمع العلمي العراقي سنة (١٣٩٧/١٩٧٧) بتحقيق الدكتور سليم النعيمي ، رحمه الله تعالى وقد أشار الغلامي الى انه حرره في الحقبة الزمنية التي إنقطع فيها عن معاشرة الناس ، بعد أن شفي من مرضه[١٥] . ويبدو انه تم تحريره في سنة (١١٦٩/١٧٥٥)[١٦] ، يدل على هذا قول الشاعر قاسم الرامي الموصلي (ت١١٨٦/١٧٥٢) مؤرخاً الشمامة :

يامنطقي نحو معاني الثنا ... صف بحر علم فاض بالجوهرِ
أخفى الخفاجي بريحانه ... أرّخ : (له شمامة العنبرِ)[١٧]

٣٥+٧٨١+٣٥٣=١١٦٩هـ

وقد شرح الغلامي في مقدمة الكتاب باعثه على تأليفه بقوله : (إني منذ رفعت عني تمائم المراضع ، وراهقت بلوغ العقل المميز بين المضار والمنافع اسلك طريقة غلامية بالتحلي بحلية الآداب... ولم أزل اتخذ الاداب داراً ، وأرى الجهل بمعرفة الاشعار عاراً... وما مزقتها حتى نبهني منبه العقل على ما في ابناء هذا الزمان من رفض المزايا ، والتهافت على رذائل الدنايا ، وزجرني المحذور عن مخالفة الجمهور، فرفضت الأدب حيناً من الدهر... ونبذت اوراقه نبذ الذؤابة الغلامية وراء ظهري... ثم بعد هذا رأيت جماعة من اصحابي ، بل عامتهم يعتقدون اني في صدور اهل الأدب أنا الرأس... فأوقعوني بين امرين.. إن أنا وافقتهم على ماقالوه لزمني اعباء من يتصدى لان يتصدر.. وان انا خالفتهم وجدت وجوههم كقلوبهم في معاشرتي باردة... فوافقتهم على ان اكون في عقد شعراء الزمان ادنى ناظم ومنظوم ، وان لايكون علمي الا عين المعلوم ، ثم لزمني على ماظنوه من الأدب ان اتحمل ماحمله متأدب كل عصر.)[١٨] . اما عن تسمية الكتاب فقد تحدث في مقدمته ايضاً بقوله : (...ثم لما وفق الله لاتمام هذه النسخة اقتنصت لها اسماً ، ليكون على شوارد سرحها وسماً ، فسميتها : شمامة العنبر والزهر المعنبر ، وذلك بما تضمخت من فضلاء الزمان بطيب اشعارهم وتذكارهم... وعاضد شميمها أرج الريحانة[١٩] ، كما عاضد صحاح الجوهري[٢٠] علم صاحب القاموس[٢١] وايضاً لما كانت الشمامة أغلى من الريحانة ، تفاءلت بهذا الاسم ان يغلي الزمان قدر سلعة صاحبها ، ويدر عليه إحسانه...)[٢٢] . واهداه الى الوزير الغازي محمد أمين باشا بن حسين باشا الجليلي ، كما صرح بذلك في مقدمته ايضاً[٢٣] .

المنهج والاسلوب

في منهج كتاب : (شمامة العنبر) ثمة قضية عبر عنها الغلامي في مقدمته ، يمكن ان تكون موضع نظر، لانها توقعنا في مداخلة تأليفية بين الآثار العلمية الشرقية والمغربية ، مما ينبغي التنبيه عليه ايضاحاً لحقيقة مهمة ، فقد قال الغلامي متحدثاً عن منهجه في مقدمته : (....رأيت جماعة من اصحابي ، بل عامتهم يعتقدون اني في صدر اهل الادب انا الرأس... ثم لزمني على ماظنوه بي من الأدب أن اتحمل ماحمله متأدب كل عصر، كصاحب اليتيمة ، وقلائد العقيان ، والريحانة ، والنفحة ، ودمية القصر، فذكرت من الفضلاء من وصلني ذكرهم ، مترجماً لهم ، وذاكراً من ابياتهم ماتيسر..)[٢٤] وهو يشير في هذا النص إلى كتاب : يتيمة الدهر في شعراء اهل العصر للثعالبي (ت ٤٢٩/١٠٣٧) ، وقلائد العقيان في محاسن الأعيان ، للفتح بن خاقان (ت ٥٣٥/١١٤٠) ، وريحانة الألباء وزهرة الحياة الدنيا لشهاب الدين الخفاجي (ت ١٠٦٩/١٦٥٨) ، ونفحة الريحانة ورشحة طلاء الحانة لمحمد امين المحبي (ت ١١١١/١٦٩٩) ، ودمية القصر وعصرة اهل العصر، لأبي الحسن الباخرزي (ت ٤٦٧/١٠٧٤).

وهذا الجمع بين هذه الكتب هو مبدأ الخلط بين الآثار العلمية المشرقية والمغربية – كما رأينا الأمر نفسه في دراستنا[٢٥] لمنهج عصام الدين العمري الموصلي (ت ١١٨٤/١٧٧٠) في كتابه : الروض النضر في ترجمة أدباء العصر – فعند التأمل في مناهج هذه الكتب نرى انها لم تتخذ جميعاً المنهج الاقليمي اساساً لعرض تراجم الأدباء – كما سنرى – وهذا المنهج اصله مشرقي أول أمثلته لدينا كتاب الثعالبي : يتيمة الدهر[٢١] وآخر نماذجه قبل كتاب : النفحة ، كتاب : خريدة القصر وجريدة العصر لعماد الدين الاصفهاني (ت ٥٩٧/١٢٠٠)[٢٧] وبين اليتيمة والخريدة ثمة كتب منها ماهو تأليف قائم برأسه ، ومنها ماهو ذيل لكتاب ، كما عد إبن خلكان ، الخريدة نفسها ذيلاً ايضاً ، والكتب التي نريد الاشارة إليها في هذا المقام هي : دمية القصر وعصرة اهل العصر لابي الحسن الباخرزي[٢٨] . ووشاح الدمية لأبي الحسن البيهقي (ت ٥٦٥/١١٦٩) وزينة الدهر وعصرة اهل العصر لأبي المعالي سعد بن علي الحظيري الوراق (ت ٥٦٨/١١٧٣) ثم الخريدة ، فقد قال إبن خلكان : (كتاب خريدة القصر وجريدة العصر جعله ذيلاً على زينة الدهر تأليف : أبي المعالي سعد بن علي الوراق الحظيري ، والحظيري جعل كتابه ذيلاً على دمية القصر وعصرة أهل العصر، للباخرزي ، والباخرزي جعل كتابه ذيلاً على يتيمة الدهر للثعالبي... والثعالبي جعل كتابه ذيلاً على كتاب : البارع لهارون بن علي المنجم...)[٢٩] بيد اننا لانعلم بالتحقيق ماهي حقيقة المنهج الذي إعتمده المنجم في كتابه : البارع. ويجانب الصواب من يعد كتاب عقود الجمان في شعراء هذا الزمان لابن الشعار الموصلي (ت ٦٥٤/١٢٥٦) حلقة من حلقات هذه السلسلة[٣٠] ، لانه اختلف

عنها في منهجه ، متخذاً حروف المعجم أساساً لدرج اسماء الشعراء[٣١] . أما كتب الفتح بن خاقان والثعالبي والخفاجي والمحبي والباخرزي الذين زعم الغلامي نفسه انها من الكتب التي حذا حذوها في إعتماد منهج التقسيم الاقليمي ، فهي مختلفة فيما بينها بالتحقيق ، فلدى الرجوع الى كتابي : الفتح بن خاقان : قلائد العقيان في محاسن الاعيان ، ومطمح الأنفس وشرح التأنس في ملح أهل الاندلس. سيجد القارئ ترتيباً للاعلام على الوظائف والمرتبة الاجتماعية ، ففي القلائد ترتيب على : الرؤساء والوزراء والاعيان والقضاة ، ونبهاء الادباء ، وفحول الشعراء[٣٢] . وفي : المطمح ترتيب على: الوزراء والقضاة والعلماء والكتاب[٣٣] ولدى الرجوع الى: اليتيمة والريحانة والنفحة[٣٤] والدمية ، سيجد منهجاً إقليمياً في التصنيف. وقد كان بين الغلامي وكتاب : النفحة ، كتاب مشرقي آخر إعتمد منهج الأقاليم في إثبات التراجم ، هو: سلافة العصر في محاسن الشعراء في كل مصر، لابن معصوم (ت ١١٢٠ /١٧٠٨)[٣٥] غير ان الغلامي لم يتناول في كتابه شعراء الاقطار العربية ، كما فعل هؤلاء ، وانما إقتصر على ترجمة خمسين علماً من أعيان القرن الثاني عشر الهجري ، فيهم المؤلف نفسه ، أربعين من الموصليين ، وستة من البغداديين ، وثلاثة من الحلبيين ، وواحد من أهل بيت المقدس.

وقد عمد الى تراجمه فجعلها مكثفة مختصرة ، تبدأ بمقدمات مسجوعةعلى الطريقة المألوفة في عصره ، بيد أنه سجع يظهر فيه التصنع والتكلف حيناً ، والضعف والاسفاف أحياناً اخرى. واراد أن يأتي بطريقة جديدة في السجع ، وهي أن يضمن السجعات الرئيسية بسجعات ثانوية وأن يظهر في سجعه معرفته للغة وعلوم العربية والأخبار، فجاء نثره مملوءاً بالألفاظ الغريبة ، ومصطلحات العلوم المختلفة ، الى جانب أسماء اعلام الفكر، وآثارهم ، ولم ينح في كتابه هذا نحو المصنفين من اهل التراجم ، بل نحا مناحي واضعي كتب المحاضرات ، كالكشكول والمخلاة والمستطرف ، وثمرات الاوراق ومحاضرات الادباء. فهو يذكر إسم العلم كاملاً ، واحياناً يختصر. وقد يقتصر على ذكر الكنية فقط ، ثم يبدأ بمقدمة مسجوعة ، يصف فيها العلم وصفاً عاماً يعتمد على المبالغة في المدح ، إلى أن يصل الى وصف أدب من يترجم له ، لينطلق منه الى ايراد مقطوعات شعرية يراد فيها بيت قد سبق الشاعر الى معناه ، فيعقب عليه باشباهه ونظائره. وهو بهذا قد جعل كتابه مجموعة أدب ، نقف في صفحاته على سرقات الشعراء المتقدمين والمتأخرين ، وتأثيلات المؤلف للمعاني الشعرية ، وتعليقه النقدي على مايراه داعية للتعليق ، وتوثيقه لاشعاره الشخصية ، ومراسلاته الأدبية مع أعيان جيله ، فضلاً على بعض احوال المترجمين واخبارهم. والغلامي في منهجه هذا يدخل في إستطرادات واستشهادات كثيرة تقطع عليه سلسلة الموضوع الذي يعمل فيه. وقد دعاه هذا الامر الى قطع النصوص في بعض المواقع ، ثم العودة اليها بعد ذلك ، باستخدامه مصطلحات من قبيل : تتمة او رجع... للاشارة الى انه سيبدأ بإكمال النص الذي قطعه لغرض استطرادي.

ومما يؤخذ على الغلامي في منهج هذا الكتاب امساكه عن ذكر وفيات الأعيان الذين ترجم لهم، وإن كان يدس عبارة تشير ان المترجم له حي او ميت، في اثناء تحريره الترجمة، كقوله مثلاً في ترجمة الحاج قاسم أغا الرونقي آل عبدالجليل: (....كان– رحمه الله– إذا رآني رفع مكاني على قدر الامكان....) [٣٦] وفي ترجمة أحمد الغلامي: (.... ولم يزل يتقلب بنعمة سيوف مماليكها.... إلى أن دعاه داعي مولاه فحن إلى لقاه ...) [٣٧] وفي ترجمة احمد المسلم بن عبدالرحمن: (... فها هو شيخ معمر وعقله عقله لم يأخذ منه الكبر، وأدبه أدبه روض معاهد تعاهدها المطر....) [٣٨].

المصادر

لقد كان الغلامي في كتابه هذا يكتب ويترجم لاعيان جيله ، المعاصرين له ، الذين رأى فريقاً منهم ، وصاحبهم ، واستمع إليهم ، وهم ينشدون أشعارهم ، ويروون اخبارهم. ورأى من رأى الفريق الاخر، وسمع منهم. ولهذا كانت مصادره في شمامتة على النحو الآتي :

أولاً : المشاهدة : وهي من اهم مصادره التي تتعلق بما وقع بينه وبين الاعيان الذين عاصرهم وصاحبهم واجتمع بهم ، او تتلمذ ودرس على ايديهم في المجالس الادبية الموصلية ، التي حاول ان ينقل صورها للقارئ ، وفي الكتاب شواهد كثيرة تدل على ذلك ، من قبيل : رأيته.. وتمتعت بصحبته.. ، وانتظمت معه في سلك الاجتماع.. ، وقرأت عليه.. ، واخذت عنه.. ، وانشدني لنفسه....

ثانياً : الرواية الشفهية : وهي مايتعلق بالأعيان الذين لم يرهم ، والاشعار التي لم يسمعها من قائليها ، والاحداث التي لم يشاهدها. وفي الكتاب كثير من المواقف التي تؤيد ذلك ، من قبيل قوله : حكي لي.. ، وأنشدني احمد بن.. قال : أخذت من هذا الفاضل في ايام حياته ، وانشدني السيد... قال : انشدني هذا السيد بنفسه... ، وانشدني الشيخ.... له قوله....

ثالثاً : المصادر المكتوبة : ويمكن تصنيفها الى :

١ – النصوص التي كاتبه بها الاعيان الذين ترجم لهم.

٢ – الأخبار والنصوص التي ذكر انه قرأها للمترجم لهم.

٣ – مؤلفات السابقين : وهي المصنفات التي ذكرها الغلامي في ثنايا تراجمه ، ينقل من قسم قليل منها ويذكر القسم الكبير الآخر على سبيل التمثل والاستشهاد على معرفته بها فقط ، وفيما يأتي اسماء هذه المصنفات منسوقة وفق ورودها في صفحات الكتاب :

المصنف	ص
– قلائد العقيان في محاسن الاعيان : لأبي الفتح بن خاقان	٤٠
– يتيمة الدهر في شعراء أهل العصر: للثعالبي.	٤٠
– دمية القصر وعصرة أهل العصر: للباخرزي	٤١ ، ٢٧١
– ريحانة الألبا وزهرة الحياة الدنيا : للخفاجي.	٤١ ، ٢٧١
– الصحاح : للجوهري	٤١ ، ٣٧٠
– القاموس المحيط : للفيروز آبادي	٤١ ، ٣٧٠
– الفقه الأكبر في الكلام : لأبي حنيفة النعمان بن ثابت.	٧٣
– الآثار: لمحمد بن الحسن الشيباني.	٧٣

المصنف

- تذكرة أولي الألباب في الطب والحكمة : لداود بن عمر الأنطاكي. ١٢٦
- بديعية العميان (الحلة السيرا في مدح خير الورى) لابن جابر الاندلسي. ١٢٦
- نكت الهميان في نكت العميان : لصلاح الدين الصفدي. ١٢٧
- سقط الزند : لأبي العلاء المعري. ١٢٧
- خزانة الأدب : لأبن حجة الحموي. ١٢٨، ٣٢٥، ٣٢٦
- المقاصد في علم الكلام : لسعد الدين التفتزاني. ١٨٨
- المواقف في علم الكلام : لعضد الدين الأيجي. ١٨٨
- البرهان في اسرار علم الميزان : لآيدمر بن علي الجلدكي. ١٩٠
- الشمسية في المنطق : لنجم الدين عمر بن علي القزويني. ١٩١
- النهج في مختصر المنهج : لابن الجوهر محمد بن احمد. ١٩١
- الرسالة الخيالية : لاحمد بن موسى الخيالي. ١٩٢
- نفحة الريحانة : للمحبي. ٢٧١
- الكبريت الاحمر في علوم الشيخ الاكبر : لعبدالوهاب الشعراني. ٣٠٦
- همزية البوصيري. ٣٣٩
- الغيث المسجم في شرح لامية العجم : لصلاح الدين الصفدي. ٣٥٧
- الكواكب السائرة في اعيان المائة العاشرة : لنجم الدين الغزي. ٣٥٨
- لامية العرب : للشنفري الأزدي. ٣٦٩
- تلخيص المفتاح في المعاني والبيان ؛ للقزويني. ٣٢٦

يعد كتاب الشمامة من اهم مصادر البحث في تاريخ الادب الموصلي خلال القرن الثاني عشر للهجرة ، وقد تجلت في هذا الكتاب الحصيلة الثقافية التي تمتع بها الغلامي ، ومعرفته في العلوم الدينية واللغوية ، واطلاعه العميق في الادب والشعر والبلاغة والنقد والتاريخ. فقد وجدناه يتحدث عن نفسه في كتابه هذا قائلاً : (هذا الاديب سابق في حلبة النحو، وصاحب الدار ادرى ، لكنه نبذه وراء ظهره لما رأى على غير هذا العلم تشاجرت الناس ، وضرب زيد عمراً ، كامل في علم الاستعارة لكونه من توابع فنه علوم العربية ، سكاكي في انواعها ، لكن أنكر السكاكي التبعية ، واقعنسس عن الصرف لما رأى هذا الزمان المعتل العين يهدي اللفيف بالتحف الى مثله أجوف ، وليد عن علم الأصول لما رأى ثيابه لضيق يده عن مصرفها مجمل لايفصل وقت الحاجة ، على أن صاحبها نكرة بها يتعرف ، وسكت عن الوضع لما رآه تحت طي جناح أعواننا الخواص ، ولما قيل له عن الأملاك والقرى تأدب ياأديب ، هذا وضع عام لموضوع خاص ، فتفقه لما راى الزمان قلتين لاتنجسه احوال العوام اللئام ، وتجاهل بالانشاء لما تولت فحول اهل الادب ، وكتب على تلك الفحول مني السلام التام... وشذت عنه الفرائض لما رأى في صفو الوقت مسألة اكدرية ، وذلك أن الخنثى يجوز فيه جمع المال بغير عصبية....)[٣٩].

فالسكاكي : العالم والبلاغي المعروف ، هو الذي قسم الاستعارة البلاغية الى استعارة تصريحية واخرى مكنية ، وأنكر- على خلاف غيره من البلاغيين- تقسيم التصريحية الى اصلية وتبعية.

والمعتل والأجوف واللفيف : من مصطلحات علم الصرف. والنكرة والمعرفة : من مباحث علم النحو. والوضع فرع من علم الكلام. والقلتان ، مثنى قلة ، وهي الجرة الكبيرة ، إشارة الى مبحث من مباحث علم الفقه في الماء الطاهر.[٤٠] والمسألة الاكدرية : من مسائل علم الميراث والفرائض.[٤١].... فاستخدام الغلامي لمصطلحات هذه العلوم يدل على معرفته بها ، وتتجلى هذه الحصيلة المعرفية بشكل أوسع وأشمل في متن كتابه ، وفي سياق مادونه من ترجمات لأعيان عصره من أدباء وشعراء ومفكرين. فقد جعل مقدماته النثرية امام كل ترجمة – على الرغم مما يسودها من مبالغة في معانيها ، وسجع متكلف في صياغاتها- معارض واسعة لثقافته المتنوعة الملونة ، ومعرفته الموسوعية الشاملة بمصطلحات العلوم المختلفة ، والأمثال العربية السائرة ، والحوادث التاريخية والانساب ، وسير اعلام التاريخ والادب واللغة والفقه والمنطق ومؤلفاتهم. ولا يعجزنا ان نختار الأمثلة الدالة على ذلك :

ففي ترجمته لعبدالباقي بن مراد العمري (ت ١١٠٩/١٦٩٧) مثلاً يقول : (أديب تمطق لحلاوة جده وهزله إبن نباتة وابن سكرة ، وتلقى الماوردي والطيبي من شعلة فطنته... لو وردت أزهار روض ادبه على ابن الوردي لطبع لها قمقاماً من المحار .... او أبصر الحريري نثره الذي لايحصى ولا يحصر، لقال موبخاً نفسه : إن مقاماتي كالجوز المعدود في الجراب المشدود.... خطب المعالي فانشرح به صدر النسب من ابن الخطاب ، وأشفع المحامد العدوية بالمعالي العلوية ، فرق لمثله بحر الانساب ، او نادى عبد مناف أن لافرق بين الفرقتين ....)[٤٢] .

فابن نباتة : هو جمال الدين محمد بن محمد المصري ، شاعر من الكتاب المترسلين (ت٨٦٨/١٤٦٣) وابن سكرة : هو محمد بن عبدالله الهاشمي ، شاعر من اهل بغداد (ت ٣٨٥/٩٩٥) والماوردي : هو علي بن محمد ، من القضاة المعروفين في العصر العباسي (ت ٤٥٠/١٠٥٨) والطيبي : هو شرف الدين ، الحسين بن محمد ، من علماء البيان والحديث والتفسير (ت ٧٤٣/١٣٤٢) وابن الوردي ؛ هو عمر بن المظفر الكندي ، شاعر واديب ومؤرخ معروف (ت ٧٤٩/١٣٤٨) والحريري : هو القاسم بن علي ، صاحب المقامات المشهورة (ت ٥١٦/١١٢٢) والعدوية ، مؤنث العدوي : رهط الخليفة الراشدي عمر بن الخطاب (رضي الله عنه) وعبد مناف : رابع جد للنبي محمد بن عبدالله ﷺ وفي ترجمته ليحيى بن فخر الدين الأعرجي الحسيني (ت ١١٨٧/١٧٧٣) يقول : (.... فصيح لو نطق لسلم برياسة الفصاحة إليه سحبان وائل ، وحيّر قس بن ساعدة ، وجعله أبله من باقل .... نحوي ، لو سمع إعرابه الكسائي لهزّ عطفيه له طرباً ، او انصت الى حسن تلاوته القراء ، لقالوا : إنا سمعنا قرآناً عجبا[٤٣] . او سمع تقريره سيبويه لكان كلامه بالنسبة إليه كلم ، او طارح المبرد ، لأنشد : واحرّ قلباه ممن قلبه شبم....)[٤٤] فسحبان بن زفر الوائلي (ت ٥٤/ ٦٧٤) وقس بن ساعدة الايادي (ت٢٣ ق.هـ/٦٠٠) : من العرب المبرزين في النباهة والفصاحة والبيان ، وباقل : جاهلي ، يضرب به المثل في العي. وعلي بن حمزة الكسائي (ت ١٨٩/٨٠٤) وعمرو بن عثمان ، سيبويه (ت ١٨٠/٧٩٦) ومحمد بن يزيد المبرد (ت ٢٨٦/ ٨٩٩) : من أئمة اللغة العربية المعروفين ، وإنشاد المبرد هو شطر بيت للمتنبي ، عجزه :

ومن بجسمي وحالي عنده سقم

وفي ترجمته لخليل بن اسماعيل البصير (ت ١١٧٦/١٧٦٢) يقول : (وجوده تذكرة لداود صاحب التذكرة ، سحب على شعره فاضل البرد على بشار بن برد ، وكاد أن ينبه بديع شعره على مااغفلته بديعية العميان ، وفاق بالذكاء أبا العيناء ، وشيخ معرة النعمان ، نكتت جواهر النكت بين جنبيه ، فهل سمعت بنكت الهميان .... شاعر وري زنده في هذا العصر في سقط الزند...)[٤٥] فداود : هو ابن عمر الأنطاكي ، عالم في الطب والادب

(ت ١٠٠٨/١٥٩٩) وكتابه : تذكرة اولي الألباب في الطب والحكمة ، مشهور ومطبوع. وبشار بن برد : الشاعر العباسي المعروف (ت ١٦٧/٧٨٣) وبديعية العميان : نظمها الشاعر الأعمى إبن جابر الاندلسي (ت ٧٨٠/١٣٧٨) وأبو العيناء : هو محمد بن القاسم بن خلاد ، الذي كف بصره ، واشتهر بأدبه وفصاحته وذكائه. وشيخ معرة النعمان : هو الشاعر ابو العلاء المعري لصلاح الدين الصفدي (ت ٧٦٤/١٣٦٢).

هذه نماذج قليلة من امثلة كثيرة لايتسع المقام لعرضها عرضاً جامعاً مانعاً ، فحسبنا إذن ما عرضناه لندخل باب المعطيات الثقافية الاخرى التي نحن بصدد تأطيرها وإبراز معالمها في متن الكتاب.

ففي هذا الباب لم يكن الغلامي مؤرخاً او راوياً للشعر فحسب ، بل كان أديباً ممتلئاً بحصيلة فكرية واسعة ، وقدرة كبيرة على تذوق النصوص الادبية ، وتأصيل المعاني الشعرية .... وناقداً ذا رأي جاد وشجاع لايتحرج من إبدائه حينما يستوقفه لفظ او معنى يستحق النقد والتعليق ، والى جانب هذا فهو صاحب رؤية نافذة في مواقفه التي يعالج بها دقائق صغيرة في معاني الشعراء ، من ذلك مثلاً تعليقه على بيت مراد بن علي العمري (ت ١١٢٩/١٧١٦) :

من خمرةٍ مثل الشموسِ ، وكأسها ... يدر عليه من الحبابِ غمامُ

من القصيدة الميمية التي مطلعها :

بخ بالغرامِ ، فما عليكَ ملامُ ... إن الستسترَ بالغرامِ حرامُ

بقوله : «اعلم ان تشبيه الخمر بالشمس ، والكأس بالبدر معنى قد تداوله الشعراء قديماً وحديثاً ، إلا أن هذا الفاضل قد شبه الحباب بالغمام ، وهو معنى مبتكر معدود له من سلامة الاختراع ، ولعمري ان تشبيه الحباب بالغمام الذي يلائم البدر حسن صار مع البدر من قبيل تشبيه شيئين بشيئين ، كقول بشار بن برد :

كأنّ مثارَ النقعِ فوقَ رؤسنا ... وأسيافنا ليلٌ تهاوى كواكبه

ووجه تشبيه الحباب بالغمام ، مع ان الشعراء يشبهون الحباب بالنجوم ، كما شبهه هو ايضاً فيما بعد ، هو من حيث تراكمه على الكأس ، يستر الكأس كما يستر الغمام البدر ، كما يشهد شاهد الحسن في ذلك ، لا من حيث نفسه ، فان نفس الحباب يشبه بالنجوم ، او ما في معناها ، اما قول ابي نواس :

كأنّ كبرى وصغرى من فواقعها ... حصباء دُرّ على أرضٍ من الذهبِ

هذا ايضاً بالنظر الى ذات الحباب لا إلى عرضه..)[٤٦] وتعليقه على بيت حسين المشهدي (ت ١١٥٦/١٧٤٣).

سقياً لعهدٍ في العقيقِ، ومعهد ولجيرةٍ أخذوا فؤادي من يدي

بقوله: (في قوله: اخذوا فؤادي من يدي، تخييل حسن دل على طول باعه بالتصرف في الكلام، لان القلب يؤخذ من الصدر موضعه، وذلك انه شبه «فؤادي» بالمال الحاصل في اليد، الجهة الجامعة بينهما الانتفاع، ثم حذف المشبه به، وهو المال، واثبت النسبة، وهو الفؤاد، فهي استعارة بالكناية، ثم ذكر ماهو من ملائمات المشبه به، وهو اليد على سبيل التخييل، مع سهولة اللفظ ورقة المعنى....)[٤٧].

فأمثال هذه النصوص تدل دلالة واضحة على عمق احساسه بدقة مايعبر عنه المبدعون، ولاسيما الشعراء منهم، وتمثله لمعانيهم تمثلاً صحيحاً، ليلتمس وجوه التفارق بينها، لان الشعر معرض كبير لتداخل المعاني وتماثلها، وكثرة الاشياء والنظائر. من ذلك مثلاً تعليقه على بيت عمر بن أبي بكر العمري (ت بعد ١١٦٠/١٧٤٧):

لو تلتقي ماألاقي كنت معتذراً من الملامِ، وتدري حال من هجرا

من القصيدة الرائية التي مطلعها:

سلِ النسيمَ من الزوراءِ حينَ سرى وهبَّ منها على أطلالنا سَحَرا

بقوله: (هذا المعنى من قول المتنبي:

وعذلتُ أهل العشقِ حتى ذقته فعجبتُ كيفَ يموتُ من لا يعشقُ

فعذرتهم، وعلمتُ حقاً انني قد لمتهم، فلقيتُ منهُ مالقوا

مارأيت شراح ديوان المتنبي قد تكلموا على نكتة خفية في قوله: كيف يموت من لايعشق، أراد: كيف لايموت من يعشق، فلم يساعده الوزن، لان موت من لايعشق ليس بعجيب، وإنما العجيب عدم موت العاشق، وذلك ان المتنبي نزل العشق كما تدعيه العشاق منزلة السم القاتل، والتهلكة المعطبة، فعدم الموت من العطب عجب، اللهم إلا ان يكون المتنبي قد ادعى ان العشق هو الموت، والموت في العشق إنحصار المعنى في كل واحد من الالفاظ المترادفة، فحينئذٍ يصح له المعنى على مطابقة ألفاظه...)[٤٨].

وتعليقه على بيت عبدالباقي بن مراد العمري (ت ١١٠٩/١٦٩٧) في حسن التعليل:

وصرت شريكي باللواحظ يارشا فقالوا لأغماد القواضب أجفانا

بقوله: (البيت مأخوذ من قول المتنبي:

ولذا اسم أغطية العيونِ جفونها من انها عملُ القواضبِ تعملُ

إلا ان المتنبي صير هذا المعنى الذي هو كالتبر خبث حديد، بسبب هذه الألفاظ، وما أحسب ان أذواق أهل الأدب تستملح لفظ الأغطية في البيت المذكور، وكأن المتنبي نظر الى قوله تعالى-: ﴿فكشفنا عنك غطاءك فبصرك اليوم حديد﴾[٤٩]، فذلك شيء، وهذا

شيء ، ولكل مقام مقال...)[٥٠] وهكذا فقد أدخلته عنايته بتأصيل معاني الشعراء في سلسلة من سلاسل إشاراته الى حالات الاشباه والنظائر والسرقات الشعرية ، مع قصد البحث عن وجوه التفارق بين المعاني المتشابكة للشعراء ، فيتجلى بثقافته العريضة ، ومخزونه من المحفوظ الشعري الذي يمده بالنصوص التي يؤكد بها مايرى انه قد دخل في إطار أخذ الشاعر من الشاعر، وسلخ المعنى ، والتقصير في التعبير عنه ، او الزيادة عليه ، وتفاوت درجات الفن بين هذا او ذاك. ومن ذلك مثلاً تعليقه على بيت عمر بن ابي بكر العمري :

بالغ بشوقي وسقمي ، ثم قل لهم قد اضمحلّ من البلوى ، فليس يرى

من القصيدة الرائية المذكورة آنفاً ، بقوله : (للشعراء مبالغات في رقة الجسم ، من أغرب ماسمعته فيه قول القائل :

ولو نمت في عين البعوض معارضاً لما علمت في أي زاوية نمتُ

هذا أبلغ من قول المتنبي:

ولو قلم ألقيت في شقِ رأسهِ من السقمِ ماغيرت من خط كاتب

قولي انا ابلغ من الأول ، وهو؛

طال عمري لانني كلّما جا ءتْ لأخذي ، فلا تراني المنية)[٥١]

وتعليقه على بيت خمسه عبدالوهاب بن حسين الامام (ت ١١٧٣/١٧٥٩) :

يالها زورة لقد طهرتني بل وبعد الخفا لقد أظهرتني

أو بعهدي القديم قد أخبرتني ثم لما أن سلمت ذكرتني

مدح من سلمت عليه الغزالة

بقوله : (أصل الأبيات– فيما أظن– لأحمد العناياتي ، وأولها :

هل لصبٍ قد غيرَ السقمُ حالهُ زورة منكم على كل حاله

اصل معنى تسليم الغزالة مأخوذ من قول ابن نباتة الشاعر:

ياغزالاً أهدى السلام الى ال مغرم لاتنكرن حالا لديه

كيف لايدعي النبوة في العشـ ـق وقد سلم الغزال عليه

وابن نباتة سرقه ممن سبقه ، وهو الوداعي بقوله :

قال لي العاذل المفند فيها يوم وافت فسلمت مختاله

قم بنا ندعي النبوة في العشق ، فقد سلمت علينا الغزالة)[٥٢]

ومن فوائده في هذا الباب انه قد يرجع بعض المعاني عند الشعراء الى أصول غير شعرية. من ذلك مثلاً تعليقه على بيتي علي بن مراد العمري (ت ١١٤٧/١٧٣٤) :

والياسمين تعانقت قضبانها قد قلدته حمائلاً من جِندسَ
فاشرب مغتقة الدنان شمولة تذر الهموم صحيفة المتلمسِ

من القصيدة الميمية التي مطلعها :

خد توّرد بارتشافِ الأكؤسِ فرنتْ لواحظه بطرفٍ أنعسِ

يقوله : (لله درّه على قوله : تذر الهموم صحيفة المتلمس ، وأبيك لو رأيت هذه الملاحة في كلام المتنبي ، اومن كان قبله كالبحتري ، اومن سبقه كأبي تمام ، اوتقدمه كأبي نواس ، لاستكبرتها منهم ، وما ذاك الا لانه ماضرب هذا المثل على اصل مايضربه الناس ، بل أخرجه غير مخرج ، جعله كالتلميح ، وخلاصة حكاية المثل ان شاعرين احدهما إسمه المتلمس ، مدحا النعمان بن المنذر، وكانا قد هجياه من قبل....)[٥٣] إلى آخر القصة التي ذكرها الميداني في مجمع الأمثال ، وفيها ذكر نجاة المتلمس بنفسه ، ومقتل صاحبه ، والغلامي بعد ان يذكر القصة يقول : (فذهبت صحيفة المتلمس مثلاً يضرب للحامل حتفه بكفه ، والى هذا المثل أشار جرير بقوله :

إليّ الصحيفة يافرزدق ، لاتكنْ نكداً كمثلِ صحيفةِ المتلمس

وأما هذا الفاضل ، معاصرنا فما أجرى المثل على ماهو عليه ، بل عدل عنه الى احسن منه ، فجعله تلميحاً بقوله : إن الخمرة تمزق الهموم شذر مذر كما مزق المتلمس صحيفته ، وأما قوله في البيت الذي قبل هذا البيت : قد قلدته حمائلاً من جِندس ، لان الخضرة توصف بالسواد ، والسواد يوصف بالخضرة ، اما الأول ، فكما قالوا : سواد العراق ، لما كثر فيه من خضرة الشجر والزروع ، وأما الثاني ، فكما ذكر إبن هانيء حديد السلاح الاسود المظلم في الجيش ، فقال :

وجنوا لهم ثمر الوقائع يانعاً بالنصر من ورقِ الحديد الأخضر[٥٤]

ولا يخفى – كما أسلفنا – نفاذ روية الغلامي النقدية في امثال هذه النصوص ، فهو في النص الأخير قد وازن بين معنى جرير ومعنى على العمري موازنة تطبيقية ، فأشار الى أن كلاً منها قد ذهب مذهباً مختلفاً في التصرف بالمعنى الواحد.

ومن الأنشطة الثقافية البارزة في هذا الباب ايضاً ، النشاط البلاغي ، وذلك لان الغلامي إبن بيئة اهتمت إهتماماً كبيراً بالدرس البديعي ، إمتداداً لاهتمام أدباء العصر الوسيط ، فهو لايترك مناسبة تقتضي موقفاً بديعياً في التحليل ، دون إشارة إليه ، وتحليله برؤية نافذة ، وإحساس أدبي عميق ، ورفده بأشباهه ونظائره ، وبيان سماته الجمالية التعبيرية ، من ذلك مثلاً تعليقه على بيتي عبدالباقي بن مراد العمري.

بكر كأن المزاجَ واقعها فنقطتْ، فالحباب من ذهبِ
وبالسان البنفسج إرق ربى ال روض، وحيي من عين كلِّ غبي

من القصيدة البائية التي مطلعها :

أنتَ في صيدكَ الأسود نبي يامن يافناء عاشقيه ربي

بقوله : (في قوله : فنقطت فالحباب من ذهب ، تورية خفية ، لاتظهر لكل أحد ، المعنى القريب من قوله : نقطت ، من التنقيط ، وهو تلصيق الدراهم والدنانير في وجه الرقاص في العرس ، ويلائمه قوله : من ذهب ، وقرينة الحال في قوله : بكر كأن المزاج واقعها ، إذ الغالب لمواقعة البكر عرس. وهذا التنقيط هو مثل ما في قول القائل في صفة الورد :

كأنّ وجنة المحبوب نقطها كفُّ المحبِّ بدينار من الذهبِ

والمعنى البعيد هو: تنقيط دم البكارة من المباشرة ، ويلائمه قوله : بكر واقعها. لكن لم أعلم ان احداً من الشعراء المتقدمين ولا المتأخرين وصف الحباب بالصفرة ، إلا هذا الأديب ، فان ساعده شاهد الحس كان كما قال ابو العلاء المعري :

فاني وإن كنتَ الاخير زمانه لآت بما لم تستطعه الاوائلُ

وفي قوله : إرق ربى الروض وحيي من عين كل غبي ، إستخدام[٥٥] غريب نادر ، لان غالب الاستخدامات تكون بإعادة ضمير على احد معنيي اللفظ المشترك ، وهذا بلا ضمير ، والاستخدام في قوله : إرق ، كانه بالنظر الى الربى نفهم منه معنى الارتقاء ، وهو الصعود ، وبالنظر الى لفظة : اللسان. وقوله : حيي من عين كل غبي ، يفهم منه : الرقية ، أي : القراءة للجسد من الالم. فان قلت : لم لم تجعله تورية؟ قلنا : التورية لايريد المتكلم من لفظها المشترك الا المعنى البعيد ، وان اظهر ارادة المعنى القريب ، وهنا قد اراد هذا الاديب إستعمال المعنيين كليهما ، فهو استخدام.....)[٥٦]

وبهذا نرى ان من نشاطه في الاستشهاد والافادة البلاغية اشاراته احياناً الى بعض مايلمح في الشواهد من مظاهر فنية غير الملمح البلاغي الذي اورد النص شاهداً عيله ، فضلاً عن وزنه اقوال الشعراء بذوقه ومعرفته لاسرار هذا الفن واستدراكاته على أهله. من ذلك مثلاً في تعليقه على ابيات خليل بن اسماعيل البصير (ت١١٧٦/١٧٦٢) :

ونسوة لمنني في حب ذي كحل أضحى يفوح شميم المسكِ من فيهِ
فقلت مقتبساً لمّا فتن بهِ فذلكن الذي لمتنني فيهِ

بقوله : (ماشاء الله ، كلام سلس واقتباس مقبول على طبق ما عرفه اهل فن البديع ، وهو ان يضمن المتكلم كلامه كلمة او اكثر من آية ، ولكن هذا شيء آخر. وذلك ان فحول اهل الأدب لهم من نظمهم إشارات خفية ، وملح مخبية ، ونكات بهية ، لم يذكرها أهل فن

البديع في كتبهم ، ولا نظام البديعيات في بديعياتهم ، وإنما اشاروا اليه مجملاً في تعريف نوع الابداع في قولهم هو ان يأتي المتكلم في كلامه بعدة انواع من البديع ، وتركوا خلف ظهورهم اشياء ، كما يقال : للحرب نكبتان ولا تغرد فوق ألا ترى الى الشيخ عزالدين الموصلي لما اقتبس في قوله :

قد سلونا عن المليح بخودٍ ذات وجه به الجمال تفننْ
ورجعنا عن التهتكِ فيهِ ودفعناهُ بالتي هي أحسنْ

كيف أخرج الكلام في اقتباسه مخرج التوجيه الذي هو ايهام المتقدمين ، وان كان قد ذكر ابن حجة هذين البيتين شاهداً في نوع التورية ، فانها بالايهام أليق ، لأن التورية مأخوذ في تعريفها اللفظة الواحدة المشتركة ، والتوجيه هو ان يحتمل الكلام وجهين : الوجه الاول من البيتين المتقدمين في قوله : دفعناه ، اي : صرفنا الامر بالتي هي احسن ، اي : بخصلة طيبة ، كما قال الله تعالى : ﴿إدفع بالتي هي أحسن﴾[٥٧] ، والوجه الثاني : ان ضمير الغائب في قوله : دفعناه ، راجع الى غير مذكور في اللفظ ، مثل : ﴿إنا أنزلناه في ليلة القدر﴾[٥٨] ، اي : دفعنا المعهود بيننا معاشر الاصحاب بالتي ، اي : في تلك الخود المذكورة سابقاً ، وهي ، اي تلك الخود أحسن من المليح المذكور ، ويكون المعنى : دفعنا المزبور بخود أحسن من المليح ، وبقي معلوماً ما في لفظ الدفع بامرأة حسناء. وكاني بالبصيري ، صاحب الترجمة يقول لي : ان ماوردت علي في تورية الدفع من هذا الشاعر به مسلم ، ولكن مادفع الله كان اعظم ، لان تركبي رائحة المجون في اقتباس الآيات الكريمة أقبل وأسلم.....)[٥٩].

وفي تعليقه على ابيات فتح الله بن الصباغ الموصلي (ت بعد ١١٤٠/١٧٢٧):

يقبلُ الارضَ عبد قد أضرّ بهِ طول البعادِ ، وهذا البعد يهلكه
يوّد في عمره ان لايفارقكم (ما كل مايتمنى المرء يدركه)

يقول : (بقي على هذا العالم اعتراضنا الذي اعترضناه على السيد خليل البصير ، المتقدم الترجمة ، في نوع الاقتباس ، كما لابد للاقتباس من نكتة ، كذلك لابد للتضمين من نكتة تدخله في حيز الملاحة والقبول. والتضمين اولى بذلك ، لان التضمين شيء من قبيل سرقة شعر الغير ، فلابد له من ملاحة تغفر هذا الذنب ، ولهذا قال اهل البديع : أحسنه ماصرف عن معنى غرض الناظم ، ثم ميزوا هذا الذي لايخلو من نكتة باسم على حدة ، وسموه ايداعاً ، وشرطوا ان ينقل النظم من معناه الاول الى صفة اخرى ، واستشهدوا على هذا النوع بقول ابن ابي الأصبع ، حيث قال :

اذا الوهم ابدى لماها وثغرها (تذكرت مابين العذيب وبارق)
ويذكرني من قدها ومدامعي (مجر عوالينا ومجرى السوابق)

فان هذين الشطرين منقولان من الحماسة الى الغزل من مطلع قصيدة للمتنبي:

تذكرت مابين العذيب وبارقِ مجر عوالينا ومجرى السوابقِ

ثم جاء ابن حجة، فزاد في المقام شعبة، وفي الشطرنج لعبة، فقال: قلت غاية الاوائل ان ينقلوا الأول في الابداع الى معنى آخر، سواءاً كان في بيتين او في بيت واحد. او في نصف بيت، ولكن الفرقة التي مشت تحت العلم الفاضلي والقطر النباتي- يعني بالفرقة معاصريه اهل مصر والشام- لم ترض بنقله مجرداً من التورية، وما يناسبها من انواع البديع، ويؤيد ذلك قول القزويني في التلخيص: واحسنه ما زاد على الاصل نكتة كالتورية والتشبيه، نحو قول ابن نباتة في مليح اسمه حبيب:

حبيب حبيب القلب أخليت منزلاً به كان في عرس المجرة ينجلي
فياصاحبي الذكر قد لذّ بالبكا (قفا نبك من ذكرى حبيب ومنزل)

قالت اهل البديع: لابأس ان يحذف الشاعر المودع صدور قصيدة بكمالها، وينظم لها صدوراً لأي غرض اختاره، وبالعكس. ومن هذا القسم قول ابن ابي الحسن الحازمي، وقد نقل المعلقة من الغزل الى المديح النبوي، فقال:

لعينيك قل إن زرت أفضل مرسل قفا نبكِ من ذكرى حبيب ومنزل)[٦٠]

ففي امثال هذه النصوص تتجلى معرفة الغلامي، وعنايته الفائقة بمثل هذه الظواهر البلاغية. وتمثله لاقوال البلاغيين في الاقتباس والتضمين، ونفاذ رؤيته في السمات الفنية التي ينبغي ان يحققها الشعراء في اقتباساتهم وتضميناتهم. وقد حظي فن البديع عنده حظوة كبيرة، لانه ما ينفك يشير الى مظاهره في هذا الموضع او ذاك، ويعد نفسه مبتكراً لبعض فنونه، وهو مايسمى (بالمضاهاة). ففي تعليقه على أبيات بعثها إليه بعض اصدقائه من ديار بكر:

اطلب مقام ديار بكر إنها بلد إليها جثتي لاتبرحُ
مابين قايتها وآخر سوقها خمر يباع، وألف علق ينكحُ

يقول: في قوله: مابين قايتها وآخر سوقها، نوع من انواع البديع اخترعته أنا، وسميته المضاهاة، وهو ان يماثل المتكلم كلامه بكلام غيره، مماثلة بحيث لو علم كلام الغير تبينت المماثلة في كلام المتكلم، وهنا الذي يعلم قول عبدالغني الشامي في الشام:

عرج ركابك عن دمشق فانها بلد تذل له الأسود وتخضعُ
ما بين جبهتها، وباب بريدها قمر يغيب. وألف بدر يطلعُ

تبين له المماثلة مابين قول الشاعر الاول : مابين جبهتها وباب بريدها ، وبين قول الشاعر الثاني : ما بين قايتها وآخر سوقها.....)[٦١] ثم راح يذكر امثلة كثيرة على هذا الفن من اشعار الشعراء على اختلاف بيئاتهم وعصورهم ، ومن بين الشواهد ابيات للغلامي نفسه في الموصل :

إرخِ العنان الى الحديا ، إنها بلدٌ يموتُ به الجهبول ويمحقُ
مابين قلعتها ، وباب صرايها[٦٢] باغٍ يموت ، وألف طاغٍ يخنقُ

واخيراً فلابد من كلمة نقولها في باب المعطيات الثقافية ، وهي انه يكفي لكتاب : الشمامة ان يضم بين دفتيه أخباراً كثيرة ومتنوعة لسير مايربو على خمسين علماً من اعلام القرن الثاني عشر للهجرة ، لتكون دليلاً على المعرفة التاريخية التي تمتع بها مؤلفه ، وقد تدق وتصل به هذه المعرفة الى أمور خفية يحاول الكشف عنها ، او التعريض بها في اثناء تحريره لسير المترجم لهم. من ذلك مثلاً ماقدمه في اثناء ترجمته لعلي بن مراد الغمري ، فيقول (رأيته في فتنة الحدباء ، وقد شمرت الحرب عن ساقها ، وكشرت الاسد عن انيابها ، يظلل فرقتنا عن لهيب السيوف بذيل همته ، ويدفع حرارة الوطيس عنا بها ، وينصب شباك المكائد لصيد منافق عنى بها ، وبهمهم في داره همهمة الاسد ، له في تلك الغابة من اقلام إفتائه ، وسنجاب فروقه مخالب وليد ، ويغري الوالد باستخراج المسائل في قتل عصبة كانت في صدور الفتنة قائمة ، ويأتي الى دارنا بالليل والفتنة نائمة ، الى ان خطم أنف تلك الفتنة بزمام رأيه ، وصولته ، ودكدك اطواد جموعها بالمعالي من همته....)[٦٣] ففي هذا النص يشير الى الفتنة المشهورة التي حدثت بين اهالي الموصل في سنتي (١١٢٣/١٧١١) و (١١٣٨/١٧٢٥) وانقسامهم فيها الى فئتين متنازعتين ، فئة مؤيدة للوالي العثماني ، واخرى رافضة للوالي الغريب عن اهل المدينة. فالغلامي يؤسس نقوله على معلومات يصل إليها بالمتابعة والمشاهدة ، الى جانب إطالة النظر في الاثار الأدبية والتاريخية.

الهوامش

(١) ينظر: شمامة العنبر/ ٨٦، ٨٧، ١٠٠، ١٠٤، ١٠٥، ١٢٧، ١٣٥، ١٤٢، ١٧٨، ١٨٦، ١٩١، ١٩٢، ٢٠٢، ٢٠٤، ٢٣٨، ٢٦١، ٢٦٦، ٢٦٩، ٢٧٠، ٢٨٢، ٢٩١، ٢٩٧، ٣١٨، ٣٤٤، ٣٤٨، ٣٦٩، ٣٨٠، ....

(٢) اسامة النقشبندي، ضمياء عباس: مخطوطات التاريخ والتراجم والسير في مكتبة المتحف العراقي، دار الحرية للطباعة بغداد، ص٨٢.

(٣) سالم عبدالرزاق: فهرس مخطوطات مكتبة الاوقاف العامة في الموصل، ج٥، ط الاولى، مؤسسة دار الكتب، جامعة الموصل ١٣٩٥/١٩٧٥، ص٣٢٢-٣٣٣.

(٤) عماد عبدالسلام رؤوف، بحثه: الآثار الخطية في دار التربية الاسلامية ببغداد، مجلة المورد سنة ١٩٧٧، مج٦، ع١، ص٢٦٧.

(٥) فهرس مخطوطات مكتبة الاوقاف العامة في الموصل ٥/٣٣٣.

(٦) أسامة النقشبندي وضمياء عباس: مخطوطات الادب في المتحف العراقي، ط الاولى، منشورات معهد المخطوطات العربية، الكويت ١٤٠٦/١٩٨٥، ص٣٢٤.

(٧) فهرس مخطوطات مكتبة الاوقاف العامة في الموصل ٦/٢٢٧.

(٨) ينظر: كوركيس عواد، بحثه: المخطوطات العربية في مكتبة المتحف العراقي ببغداد، مجلة سومر سنة ١٩٥٨، مج١٤، ص١٥٣.

(٩) العلم السامي في ترجمة الشيخ محمد الغلامي/١٤٧.

(١٠) فهرس مخطوطات مكتبة الاوقاف العامة في الموصل ٥/٣٣٢.

(١١) العلم السامي في ترجمة الشيخ محمد الغلامي /١٤٥.

(١٢) م ن /١٤٥.

(١٣) م.ن / ١٤٧.

(١٤) فهرس مكتبة الاوقاف العامة في الموصل ٥/٣٣٣.

(١٥) شمامة العنبر / ٣٩- ٤٢.

(١٦) على خلاف ماذكره سليم النعيمي في مقدمة تحقيقه للكتاب.

(١٧) شمامة العنبر / ٢٦٢.

(١٨) م.ن/٣٩- ٤٠.

(١٩) ريحانة الألبا وزهرة الحياة الدنيا: لشهاب الدين الخفاجي (ت١٠٦٩/١٦٥٨).

(٢٠) الصحاح في اللغة: لاسماعيل بن حماد الجوهري (ت ٣٩٣/١٠٠٢)

(٢١) مجد الدين محمد بن يعقوب الشيرازي الفيروزآبادي (ت ٨١٧/١٤١٤)، والقاموس المحيط: من اشهر تصانيفه في اللغة.

(٢٢) شمامة العنبر / ٤١- ٤٢.

(٢٣) م.ن /٤٢- ٤٥.

(٢٤) م.ن/ ٣٩- ٤٠.

(٢٥) تنظر: دراستنا: عصام الدين العمري الموصلي، حياته وشعره وديوانه مجموعاً محققاً، رسالة الدكتوراه، على الالة الكاتبة، سنة ١٤١٣/١٩٩٢. ص١١١-١١٣.

(٢٦) تنظر: مقدمة محمد محي الدين عبدالحميد لتحقيق كتاب: يتيمة الدهر.

(٢٧) تنظر: مقدمة محمد بهجة الأثري لكتاب: الخريدة

(٢٨) تنظر: مقدمة سامي مكي العاني لتحقيق كتاب الذمية.

(٢٩) وفيات الاعيان وانباء ابناء الزمان، ج٥ تح إحسان عباس، بيروت، ١٣٩٧/١٩٧٧، ص١٤٩- ١٥٠.

(٣٠) سليم النعيمي في مقدمته لتحقيق كتاب: الشمامة /٢٥- ٢٦.

(٣١) ينظر: سامي الصقار، بحثه: ابن الشعار الموصلي، مؤرخ الشعراء، وكتاب عقود الجمان في شعراء هذا الزمان، مجلة كلية الاداب/جامعة الرياض، سنة ١٩٧٩، م٦، ص٢١٧- ٣١٢.

(٣٢) تنظر: مقدمة حسين يوسف خريوش لتحقيق كتاب القلائد.
(٣٣) تنظر: مقدمة محمد علي شوابكة لتحقيق كتاب المطمح.
(٣٤) تنظر: مقدمة عبدالفتاح الحلو لتحقيق كتابي : ريحانة الألبا للخفاجي. ونفحة الريحانة للمحبي.
(٣٥) تنظر: فهارس كتاب : السلافة.
(٣٦) شمامة العنبر / ١٣٥.
(٣٧) م.ن / ١٨٨
(٣٨) م.ن/٢٩٩
(٣٩) شمامة العنبر/ ١٦٢- ١٦٥.
(٤٠) ينظر: عبدالرحمن الجزيري : الفقه على المذاهب الأربعة ، ج١ ، ط الرابعة ، القاهرة ١٩٣٩ ، ص٤
(٤١) ينظر: محمد عبدالرحيم الكشكي : الميراث المقارن ، دار النذير، بغداد ، ١٣٨٩/١٩٦٩ ، ص١٧٨ - ١٧٩. ٢١٩-٢٢١.
(٤٢) شمامة العنبر / ٥٢ - ٥٤.
(٤٣) الآية الاولى ، سورة :الجن.
(٤٤) شمامة العنبر/ ١٤٤.
(٤٥) م.ن/ ١٧٦-١٧٧.
(٤٦) م.ن/٨١-٨٣.
(٤٧) م.ن/٢١٣.
(٤٨) م.ن /٣٥٣-٣٥٤
(٤٩) الآية ٥٠ ، سورة :ق.
(٥٠) شمامة العنبر / ٦٨-٦٩.
(٥١) م.ن/ ٣٥٣.
(٥٢) م.ن/ ٣٤٤-٣٤٥.
(٥٣) م.ن/ ٧٥-٧٦.
(٥٤) م.ن/ ٧٧-٧٨.
(٥٥) الاستخدام : من الفنون البديعية. ينظر: (احمد مطلوب : معجم المصطلحات البلاغية وتطورها. ج١. مط المجمع العلمي العراقي ١٤٠٣/١٩٨٣. ص١١٦-١٢٠)
(٥٦) شمامة العنبر / ٥٧-٥٨.
(٥٧) الآية ٣٤ ، سورة : فصلت.
(٥٨) الآية الاولى ، من سورة : القدر.
(٥٩) شمامة العنبر / ١٢٧-١٢٩.
(٦٠) م.ن / ٣٢٥-٣٢٦.
(٦١) م.ن / ٣١٤-٣١٦.
(٦٢) الصراي او السراي : لفظ تركي بمعنى : قصر الحاكم.
(٦٣) شمامة العنبر / ٧٤.